

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

تأليف

أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي

الطوفى سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م

تحقيق

الأستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي والأستاذ المساعد الدكتور محمد أمروشي

مكتبة الارشاد
استانبول

دار طاهر
بيروت

تقديم

الطبعة الجديدة

إن الماتريدية تمثل الجانب العقائدي للمذهب الحنفي - الماتريدي الذي ينتسب إليه اليوم أكثر من خمسين بالمائة من سكان العالم الإسلامي . ومن المعلوم أن كتاب التوحيد وتأويلات القرآن يعتبران من أهم مصادر المذهب الماتريدي الذي أسس بها أبو منصور الماتريدي مذهبه الكلامي مستفيداً في ذلك أيضاً من الإمام أبي حنيفة رحمه الله . والتحقيق الأول الذي قام به الأستاذ الدكتور فتح الله خليف وتجربته الأولى لنشر كتاب التوحيد يعتبر بلا شك خدمة مهمة للثقافة الإسلامية وتاريخ الفكر بهذا المحيط . غير أن الاستفادة من هذه النشرة كانت محددة لأسباب عديدة نذكر البعض منها: وجود قراءة خاطئة لبعض العبارات أو الكلمات في النص، عدم وجود تعليق أو توضيح للعبارات الغامضة في النص، وعدم وجود توثيق كامل لبعض الأحاديث أو الروايات الموجودة بالنص، وعدم الارتباط في النص بين كتاب التوحيد وبين تأويلات القرآن .

ورغم تقدير الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي والأستاذ المساعد الدكتور محمد أروتشي بما قام به الأستاذ الدكتور فتح الله خليف، فإنهما قاما أولاً بتدريس ودراسة نص كتاب التوحيد في محاضرات الدكتوراه بقسم علم الكلام للوصول إلى فهم صحيح لنص الكتاب، وذلك عن طريق المقارنة بين النسخة المطبوعة والخطية، ثم واصلاً بتحقيقه ونشره نتيجة محاولات جادة ومتواصلة في فترة زمنية طويلة، واستهدفاً بذلك تأمين الاستفادة من الكتاب على وجه أكمل للباحثين . ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي قد قام في حينه بترجمة الكتاب إلى اللغة التركية أيضاً؛ فهما دراستان قد لقيتا قبولاً واسعاً لدى الباحثين، ونُشِرَتَا مرتين في أنقرة . وقد رأينا أيضاً أن كتاب التوحيد للماتريدي نُشِرَ في الآونة الأخيرة من قِبل الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي بدار الكتب العلمية ببيروت (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)؛ غير أن هذه النشرة التي لا تحتوي على جهود أكاديمية وتعليقات علمية في هوامشها .

وقد بدأ الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي أخيراً بنشر تأويلات القرآن للماتريدي، وذلك

بمساعدة اللجان العلمية المختلفة التي تعمل بها. فطُبع إلى اليوم سبعة مجلدات تحتوي على نص الكتاب المذكور من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة إبراهيم؛ غير أن مواصلة عملية التحقيق تجرى حالياً تحت الإشراف العلمي من قِبل الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي. فقد حصلت تلك اللجان على ثلاثين نسخة خطية لكتاب تأويلات القرآن من مكاتب عديدة، فاخترت من بينها بعد فحص دقيق أربع نسخ خطية تعتمد عليها أثناء التحقيق. وكذلك تحاول تلك اللجان أن تستفيد أثناء التحقيق من النصوص الواردة في النسخ الخطية لشرح تأويلات القرآن لعلاء الدين السمرقندي.

وكان أمل الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي والأستاذ المساعد الدكتور محمد آروتشي، محققي كتاب التوحيد، أن يُطبع ذلك الكتاب في بيروت، الذي يعتبر مركزاً لطبع التراث الإسلامي وتوزيعه. وبمناسبة التحقق لأمنيتهما في ذلك، فهما يقدمان شكرهما البالغ للمؤسسة دار صادر التي تعتبر من أهم المؤسسات الناشرة لكتب لها قيمتها البالغة في ميادين الثقافة والحضارة بالعالم الإسلامي. وكذلك يشكر المحققان مجلس إدارة مركز البحوث الإسلامية (ISAM) الذي سمح لنا بترجمة المقالة المتعلقة بأبي منصور الماتريدي وآرائه الكلامية؛ فهي مقالة كتبها الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي ونُشرت ضمن مادة «الماتريدي» (آراؤه الكلامية) في الموسوعة الإسلامية لوقف ديانة تركيا بمدينة استانبول (١٥٧-١٥١/١٨) ثم ترجمها الأستاذ المساعد الدكتور محمد آروتشي من اللغة التركية ونشراها في مقدمة هذه الطبعة الجديدة للكتاب.

ونحن إذ نرحب بملاحظات كل من أراد الاهتمام بهذا التراث في محيط الكلام، نرجو أن يكون إخراج هذا الكتاب إلى حيّز الوجود بهذا الشكل قد يخدم التراث الإسلامي عامة، والباحثين المهتمين بعلم الكلام خاصةً.

وهذا من فضل ربنا، والله الحمد ومنه العون والتوفيق.

المحققان:

الأستاذ المساعد الدكتور محمد آروتشي

الأستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

تصدير

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه ومن سلك هديه في منهج التوحيد إلى يوم الدين.

لقد أنعم الله تعالى على خلقه بنعم لا تُحصى. ومنح ابن آدم الذي خلقه الله جسميًا في أحسن تقويم وكرّمه معنويًا على سائر المخلوقات بنعم تفوق ما سواها؛ وعلى رأس تلك النعم العقل أو الوعي الذي يعتبر وسيلة لتحمل الأمانة الإلهية. هذا، وقد أرسل الله تعالى رسله الكرام لكي يضيء بذلك طريق العقل ويرشده فيما يفوق قُدْرته. فالنوع البشري لن ينال سعادة الحياة الفانية والسرمدية في مستوى الفرد والأسرة والمجتمع إلا عن طريق الوحي والعقل الواعي المدرك له.

لقد أرسل الله محمدًا ﷺ، إلى البشرية كلها، فبلّغ الوحي الإلهي الأخير لها قبل أربعة عشر قرنًا، ثم انتقل إلى جوار ربه؛ وهذا هو منهج جميع الرسل الذين كانوا دائمًا في خدمة البشرية لسعادتها وفلاحها. إن الإسلام أو الحلقة الأخيرة لدين الله الخالد قد وُلد في شبه الجزيرة العربية، وانتشر في بلاد مجاورة - لها أديانها وعقائدها وفلسفاتها العديدة - بسرعة لم نشاهد مثلها في التاريخ. وهذه الظاهرة التاريخية قد كانت سببًا رئيسيًا لظهور جدل ونقاش فكري بين الإسلام وبين الأديان السماوية والثقافات والحضارات الأخرى، كما أصبح المجتمع الإسلامي بمرور الزمن أيضًا مسرحًا لهذا الجدل بين نظريات إسلامية عديدة.

وأما العلم المشهور بين العلوم الإسلامية، والمسّمى بعلم الكلام: فهو علم يبحث في أصول الدين فيمهد المنهج الدقيق للنظر في الأسس الدينية الأصلية وتقديمها في الأوساط العلمية؛ فهو في الوقت نفسه علم قد وضع تحت الاختبار جميع النظريات المختلفة التي كانت خارج المجتمع الإسلامي وداخله، فقومها واعتنى بها من حيث القبول والرد.

ومما لا شك فيه أن المعتزلة هي أولى مدرسة كلامية لجأت إلى المنهج الكلامي في الدفاع عن العقيدة؛ ومع ذلك، فإن أبا حنيفة الذي كان يعيش أثناء نشأة هذا العلم، وأبا منصور الماتريدي الذي وُلد تقريبًا بعد مائة عام من وفاة الإمام، وأبا الحسن الأشعري الذي تبنى

العقيدة السننية «الرسمية» بعد مرور الثلث الأخير من عمره. فكلهم قد تبّنوا منهجًا كلاميًا مماثلاً وطبقوه، فاستطاعوا بمرور الزمن أن يشكّلوا مدرسة كلامية سننية انتسب إليها أكثر من التسعين بالمائة من مسلمي العالم الإسلامي. ومهما كان الرأي المعتاد بأن أبا الحسن الأشعري يعتبر «مؤسس المدرسة الكلامية السننية»، نستطيع القول بأن الاطلاع الدقيق للتراث الكلامي في المرحلة الأولى قد يؤدي بنا إلى الاعتراف بأن ما أُلّف في هذا التراث ووصل إلى مرتبة الكمال في التأليف هو ما أُلّفه أبو منصور الماتريدي في ذلك. فبالتالي إن كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي في منهجه ومحتواه وطرق الاستدلال فيه يعتبر بلا شك مرجعًا أساسيًا بين أصول المصادر الكلامية التي ظهرت فيما بعد من التراث الكلامي.

إن كتاب التوحيد يعتبر كتابًا قيّمًا في الفكر الإسلامي عامّة ومرجعًا أساسيًا للمذهب الحنفي - الماتريدي خاصة، المذهب الذي ينتسب إليه اليوم أكثر من خمسين بالمائة من سكّان العالم الإسلامي. فبهذه المناسبة علينا أن نقدم الشكر والتقدير لما قام به الأستاذ فتح الله خليف من تجربة أولى لنشر هذا الكتاب، والمطبعة التي قامت بإخراجه إلى حيز الوجود. ونحن اليوم، إذ نقدم الكتاب هذا بين يدي القارئ بشكله الجديد، نرجو أن تكون دراستنا هذه في خدمة الباحث لفهم الكتاب والمسائل التي يعالجها، ولا ندّعي الكمال فيه، كما نرحّب بملاحظات كل من أراد الاهتمام بنص هذا الكتاب الذي يصعب تناوله، لما فيه من العبارات الكثيرة الغامضة والمعاني المبهمة والألفاظ المغلقة.

وهذا من فضل ربنا، والحمد لله أولاً وآخراً.

إستانبول، ١/رمضان/١٤٢٢هـ

الموافق: ١٦/١١/٢٠٠١م

المحققان:

الأستاذ المساعد الدكتور محمد آروتشى

الأستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

أبو منصور الماتريدي

حياته

مؤلف الكتاب هو الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الأنصاري. فـ«الماتريدي» نسبة إلى «ماتريد»^١، وهي محلة بسمرقند، في جمهورية أوزبكستان. وقد لقبه أصحابه بألقاب مختلفة؛ فهو «إمام الهدى»، و«علم الهدى»، وهو «إمام المتكلمين»، وهو «مصحح عقائد المسلمين»، وهو «رئيس أهل السنة»^٢. فهذه الأوصاف والألقاب تومئ إلى ما للرجل من مكانة في نفوس أصحابه، وإلى دور بارز تحقق له في نصره السنة والدفاع عنها، حيث نهض الماتريدي في الأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي، ونهض أبو الحسن الأشعري في الأقاليم المتوسطة لمجابهة ذوي الأفكار المتطرفة^٣.

وعلى الرغم من هذه المكانة التي نالها الإمام الماتريدي يلاحظ أنه قد أهمل من كثير من المؤرخين، فلم يشيروا إليه من قريب ولا من بعيد؛ وإن ذكره مؤرخ فهي كلمات مقتضبة لا تناسب مكانته، ولا مكانة المذهب المنبثق عنه، ولا الدور الذي قام به هو والأشعري في مواجهة المعتزلة والروافض وغيرهما من الفرق. فقد كان للرجلين أثر بارز في إعلاء قيمة العقل مع النقل، حيث كانا نموذجًا لوسطية الإسلام التي لا تهمل العقل ولا تعطيه وحده الثقة الكاملة^٤. فلقد تَنَبَّه لهذا الإهمال بعضُ المستشرقين والباحثين المعاصرين، مثل

١ ما تريد، بناء مضمومة ودال مهملة في آخره، أو ما تُريت، بناء مضمومة كذلك وتاء في الآخر. وذكر أحمد أمين أنه يضبط «ما توريد» بزيادة الواو. انظر: الأنساب للسمعاني، ٤٩٨؛ وظهر الإسلام لأحمد أمين، ١/٢٦٥.

٢ حتى إذا جاء العالم المحقق الشيخ محمود بن سليمان الكفوي (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) طالعنا بقوله فيه: «إمام الهدى، قدوة أهل السنة والاهتداء، رافع أعلام السنة والجماعة، قالع أضراليل الفتنة والبدعة، الشيخ الإمام أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام المتكلمين، ومصحح عقائد المسلمين، نصره الله بالصراط المستقيم، فصار في نصره الدين القويم. صنف التصانيف الجليلة، ورد أقوال أصحاب العقائد الباطلة» (كتائب أعلام الأخيار للكفوي، الورقة رقم ٣٥). انظر كذلك: الجواهر المضية لأبي الوفاء القرشي، ١٣٠/٢-١٣١؛ وتاج التراجم لابن قطلوبغا، ٥٩؛ وإنحاف السادة للزبيدي، ٥/٢؛ والفوائد البهية للكنوي، ١٩٥.

٣ انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٦٥-٣١١؛ وعقيدة التوحيد لأحمد عصام الكاتب، ٨٥-١٠٦.

٤ ولعل من مظاهر هذا الإغفال أو الغفلة ما كان من كارل بروكلمان (Carl Brockelmann)، حيث لم يذكر الماتريدي في ضمن من ذكر من المفسرين في الباب الثامن (علوم القرآن)، واقتصر على ذكره في الباب التاسع (العقائد)، على الرغم من أنه في هذا الباب ذكر ما وقف عليه من نسخ كتاب تأويلات القرآن.

انظر: C. Brockelmann, *GAL*, I, 209, 515-534; *Suppl.*, I, 346.

ماكدونالد، وجولد تسيهر، وعبدالرحمن بدوي^١؛ ولكن واحداً من هؤلاء لم يشير إلى ما يراه سبباً في هذا الإهمال^٢.

ولدى الاطلاع إلى ما تيسر لنا من مراجع تناول أصحابها الحديث عنه، فلا نجد شيئاً سوى اسمه واسم والده واسم جده. اللهم إلا ما ذكره السمعاني والزيدي، وما جاء على هامش الورقة الأولى من مخطوطة كتاب التوحيد، من أنه يرجع في نسبه إلى أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري^٣. ويدعم هذا الاتصال في النسب ما جاء على لسان البياضي من التصريح بتلك النسبة، عند الحديث عن الإمام الماتريدي^٤. بيد أن عبارة الزيدي تومئ إلى أن تلك النسبة إنما هي نسبة تقدير وتشريف، لقاء ما قدم في نصره الدين، والدفاع عن السنة وتحلية العقيدة والشريعة، وليست نسبة أصول ونسب^٥.

وربما يميل بعض من الباحثين إلى أنه إنما قصد بتلك النسبة بيان أصوله ونسبه في حقيقتها، على ما اتجه إليه أيوب علي، مستنداً إلى ما وجدته على هامش كتاب التوحيد للماتريدي، من رجوع نسبه العربي إلى أبي أيوب الأنصاري^٦، فيظن هؤلاء أن مرجحات عربية الإمام الماتريدي أقوى من احتمالات عدم عربيته. ولعل الأصح في الموضوع أن يقال إن الباحث ليس

١ انظر: D. B. Macdonald, «Mâtürîdî», *IA*, VII, 404-406؛ والعقيدة والشريعة لجولد تسيهر، ٩٩؛

والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية لعبد الرحمن بدوي، ٣١٧.

٢ بيد أن الأستاذ أحمد أمين قد ألمح إلى ذلك في قوله: «وقد انتصر للمذهب الماتريدي كثير من علماء الحنفية مثل فخر الإسلام البردوي، والتفتازاني، والنسفي، وابن الهمام إلى غيرهم، ولكنهم لم يبلغوا - والحق يقال - مبلغ أتباع الأشعري، فرجع مذهب الأشعري، وزاد انتشاره، وكثر أتباعه». فهو في هذه الإلماحة يعلل انتشار مذهب الأشعري، وكثرة أتباعه، لا إهمال الماتريدي. وربما كان وراء هذا الإهمال ما استشعره المحدثون والفقهاء من اقتراب آرائه إلى آراء المعتزلة، على نحو ما لاحظته الشيخ محمد أبو زهرة، مُصدّقاً قول الكوثري: «إن الأشاعرة بين المعتزلة والمحدثين، والماتريديين بين المعتزلة والأشاعرة». انظر: ظهر الإسلام لأحمد أمين، ٩٥/٤؛ وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٩٥-٢٩٦.

٣ لقد وردت العبارة في هامش كتاب التوحيد للماتريدي (مخطوطة كمبردج، ورقة رقم ١ ظ) كالآتي: «إن الإمام أبا منصور، رضي الله عنه، فيما بلغني كان من أولاد أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، رضي الله عنه؛ وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة وأقام عنده سبعة عشر شهراً ومات بقسطنطينية». انظر كذلك: الأنساب للسمعاني، ٤٩٨؛ وإتحاف السادة للزيدي، ٥/٢.

٤ انظر: إشارات المرام للبياضي، ٢٣.

٥ يقول تعليقاً على تلك النسبة: «فإن صح ذلك، فلا ريب فيه، فإنه ناشر السنة، وقامع البدعة، ومحبي الشريعة، كما إن كتبه تدل على ذلك أيضاً». انظر: إتحاف السادة للزيدي، ٥/٢.

٦ انظر: عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٥٠.

أمامه إلا نسبة «الأنصاري»، ومَسند هذه النسبة غير معروف. فإذا كان المرجح لنسبه العربي قد اعتمد على ما جاء في هامش كتاب التوحيد دون ذكر مصدره، فما ذا يقال حول كتاب التوحيد وأسلوبه اللغوي فيه؟ إذ يجد الباحث فيه المؤلف يكتب عبارات غامضة في مسائل مهمة جداً، مع ما فيها من عبارات ضعيفة، وفيها أخطاء لغوية، تؤدي بالباحث بالتالي إلى أن يرجح كون أصل مؤلفه غير عربي. وعند تحقيقنا لـ «كتاب التوحيد» وأثناء ترجمة بكر طوبال اوغلي الكتاب إلى اللغة التركية قد ظهرت القاطعة التي تشير بوضوح كامل إلى استحالة كون الإمام أبي منصور الماتريدي عربي الأصل؛ فرغم علمه الزاخر وفكره العميق في سرد المسائل نرى أن عباراته اللغوية وأسلوبه في توضيح المسائل تدل على أن القائل يستحيل كونه شخصاً من أسرة عربية. وفي مقابل ذلك نرى تركيب الجمل التي وردت غالباً في الكتاب شبيهة بالتركيب الوارد في اللغة التركية؛ لذلك لا نستطيع استبعاد الاحتمال الذي يؤدي بنا إلى القول بكون الماتريدي تركي الأصل.

وعلى طريق التعرف على أسرة الماتريدي تنبّه الأستاذ تريتون (A. S. Tritton) إلى وجود كتاب مخطوط في المتحف البريطاني، تحت رقم «٧٨١» بعنوان كتاب نقض المبتدعة الخارجة من السواد الأعظم على طريقة الإمام الأعظم أبي حنيفة، كتبه أبو القاسم إسحاق بن محمد الماتريدي. ولفت النظر ما بين هذا الاسم وبين اسم الإمام الماتريدي من تشابه، فقال: إنه ربما كان شقيق الإمام الماتريدي المشهور، مؤسس المدرسة الماتريدية. وذهب إلى أنه تتلمذ على الإمام الماتريدي في الفقه والكلام. وقد علق فتح الله خليف على ذلك بقوله: «ونحن لا نستبعد أن يكون قد تتلمذ على الإمام الماتريدي، وأن يكون هو القاضي أبا القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الشهير بالحكيم السمرقندي (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)، ولكننا نستبعد أن يكون شقيق الإمام الماتريدي، لأن الاختلاف بين الاسمين بيّن، كما أن المؤرخين لا يذكرون شيئاً من ذلك»^١.

إذا ما حاولنا التعرف على الشئنة التي ولد فيها الإمام الماتريدي، فليس هناك إشارة إلى سنة ميلاده ولا إلى الجيل الذي ولد فيه. وكل ما نستطيعه هو ما وصلنا إليه في هذا الصدد من تاريخ وفاة اثنين من شيوخه، هما محمد بن مقاتل الرازي، ونصير بن يحيى البلخي. أما الشيخ محمد بن مقاتل الرازي، فقد ذكر الكوثري أنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين من الهجرة. وأما الشيخ نصير بن يحيى البلخي، فقد ذكر اللكنوي أنه توفي سنة ثمان وستين ومائتين من

١ انظر: الفوائد البهية للكنوي، ١٥؛ و 96-99. Tritton, "An Early Work from the School of al-Māturīdī",

ومقدمة التحقيق في كتاب التوحيد للماتريدي، ٢م.

الهجرة^١.

من هذا لا نملك إلا أن نقرر بأن مولد الماتريدي بالضرورة كان قبل وفاة أستاذه محمد بن مقاتل الرازي؛ أعني أنه ولد قبل سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م بالقدر الذي يتمكن معه من التوجه إلى طلب العلم والتلمذ عليه، ليتلقى منه فقه أبي حنيفة وآراءه في العقيدة. ولا يتصور أن يكون ذلك وهو في سن تقل عن عشرة أعوام؛ أي إن الماتريدي على أقل تقدير يكون قد ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وقد يكون ميلاده قبل ذلك، ولكنه لا يتصور بعد ذلك. وهذا يعني أنه ولد في عهد المتوكل، الخليفة العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، كما يعني أنه يتقدم في مولده على أبي الحسن الأشعري بأكثر من عشرين سنة^٢. فإذا ضممنا إلى هذا أن الأشعري بدأت حياته معتزلياً، ودام على الاعتزال أربعين سنة^٣ - مما يعني أنه بدأ نشاطه في مواجهة الاعتزال، ومناصرة أهل السنة، بعد المائة الثالثة - تبين لنا أن الإمام الماتريدي كان من أهل السنة طوال حياته وكان على رأس الاتجاه السني قبل أبي الحسن الأشعري.

وفي المقابل نجد ما يشبه الاتفاق بين من تعرضوا لوفاة الشيخ على أنه مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م^٤. نقول: ما يشبه الاتفاق، لأن هناك من قال بأن وفاته كانت سنة ٣٣٦هـ. وذكر الكوثري أن الماتريدي توفي سنة ٣٣٢هـ على ما رواه قطب الدين الحلبي. وقطع بذلك الشيخ أبو الحسن الندوي. ولكن القرشي ذكر أنه توفي سنة ٣٣٣هـ، بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وأن قبره بسمرقند^٥.

بيئته السياسية والعلمية

مما تقدم يتبين أن الإمام الماتريدي درج في المنطقة الشرقية من الدولة الإسلامية ونشأ فيها. ومعلوم أن الأجزاء الشرقية من الدولة الإسلامية ظلت خاضعة لسلطان الخلفاء العباسيين في رابطة محكمة، حتى إذا كان عصر الخليفة المأمون أخذت روابط الدولة تتهاوى، وبدأت أجزاء

١ الفوائد البهية للكنوي، ٢٢١؛ ومقدمة الكوثري لـ «كتاب العالم والمتعلم» لأبي حنيفة، ٧.

٢ مفتاح السعادة لطاش كوبري زاده، ٣٧/٣.

٣ وفيات الأعيان لابن خلكان، ٤٤٦/٢؛ وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٦٦.

٤ انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا، ٥٩؛ والأنساب للسمعاني، ص ٤٩٨؛ والفوائد البهية للكنوي، ١٩٥؛ وهديّة العارفين للبغدادي، ١٣٣٩.

٥ انظر: الجواهر المضية لأبي الوفاء القرشي، ١٥٨؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة، ٤٠٦/٢؛ ومقدمة الكوثري لـ «كتاب العالم والمتعلم» لأبي حنيفة، ٤؛ ورجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن الندوي،

١٢٧/١-١٢٨.

كثيرة تخرج من دائرة السلطة في بغداد. فلما تولى الخلافة المتوكل كان كثير من تلك البلاد قد استقل عن سلطان الخليفة العباسي خصوصًا تلك البلاد الشرقية، فأرأينا الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر، والدولة الصفارية تضم فارس وخراسان، وسجستان، وكرمان، والدولة الزيدية العلوية في جرجان وطبرستان^١.

أما الدولة السامانية - وهي التي تضم الماتريدي - فإنها لم تنفصل عن دولة الخلافة العباسية إلا في سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م. ولما استقل حكامها عن التبعية للخليفة العباسي حرص السامانيون على أن يقيموا فيها دولة عظيمة تتوازن مع دولة الخلافة، وتَحَقَّق لهم ما أرادوا، فكان لهم دولة تنافس دولة الخلافة، واستمرت حتى سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م، حيث انتهت على أيدي آل سُبُكْتِكِين من جهة، وأيدي الترك الخاقانيين من جهة أخرى^٢.

وفي ظل هذا الحرص الساماني على عظمة دولتهم فتح ميدان الحركة الفكرية والعلمية والأدبية، فكان ميدانًا للتنافس في هذه الاتجاهات كلها. وهكذا يَسْتَر السامانيون كل السبل لتقديم أجل الخدمات التي تحقّق ازدهار العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها. فلم يستطع مؤرخ مثل المقدسي إلا أن يقول في ملوك السامانيين ووصف بلاد ما وراء النهر وخراسان: «إنه أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء. وهو معدن الخير ومستقر العلم وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم. ومملكه خير الملوك وجنده خير الجنود، فيه يبلغ الفقهاء درجة الملوك»^٣. وكذلك كانت رؤية ابن خلكان^٤.

من هذا العرض الموجز تبين أنه كان للسامانيين فضل بدء حركة علمية واسعة النطاق في البلاد، مما ساعد على إنجاب عدد لا يحصى من العلماء المتخصصين في شتى مجالات العلم والمعرفة: من تفسير، وفقه، وحديث، وكلام، وفلسفة، وتصوف، ولغة، وأدب، وطب، وفلك، وطبقيات، الخ. وكان لهؤلاء الأئمة الأجلاء دور بارز في توهين كثير من آراء الزندقة التي كانت تنتشر في البلاد متردية ثوب العقل. كما كان لهم أثر بالغ في تقليص مذهب المعتزلة، وتوجيه عامة البلاد إلى مذهب أهل السنة وتجليته والدفاع عنه، حتى أصبحوا أشد الناس تمسكًا به وحرصًا عليه إلى جوار مذهب الإمام أبي حنيفة في العقيدة والفقه. ومن هنا تحققت

١ انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية لمحمد الخضري بك، ٣١١.

٢ المرجع السابق، ٣١٠.

٣ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ٣٨٠.

٤ فقال: «وأما الملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان، وكانوا أحسن الملوك سيرة. ومن ولى منهم كان يقال له: سلطان السلاطين، لا ينعت إلا به، وصار كالعلم لهم. وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم» انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢٤٥/٤.

السيادة هناك لهذين المذهبين العقدي والفقهي^١.
كما يتضح من هذا أن البيئة التي نشأ فيها أبو منصور الماتريدي كانت هادئة سياسياً،
خالية من الصراع العنيف والتقلبات المضطربة، وأنها كانت في الوقت ذاته مزدهمة بالمفكرين
والمبدعين من شتى الاتجاهات ومختلف المذاهب.

ولما بالغ المعتزلة في تمجيدهم دور العقل مستقلاً في بحث المعتقدات، واشتطوا في تهجمهم
على المحدثين والفقهاء ومن حذا حذوهم في الاعتماد على الآثار المنقولة نالوا غضب عامة
المسلمين واستنكارهم، مما هيا المجال لاشتعال الصراع بين هؤلاء وأولئك. فكان تمهيداً
لظهور الماتريدي الذي استطاع أن يجمع بين الوجهتين - النقل والعقل - في المنطقة الشرقية.
ثم تلاه أو صاحبه خروج الإمام أبي الحسن الأشعري في البصرة على المعتزلة الذين كان قد
تتلمذ على شيخهم أبي على الجبائي، وتمكن بمقدرته العلمية وفصاحته من أن يتولى الجدل نائباً
عن شيخه، واستمر على الاعتزال أربعين سنة، تكشف له في أثنائها جوانب الخلل في آرائهم.
فكان هذان الإمامان، أبو منصور الماتريدي وأبو الحسن الأشعري، علامة بارزة على طريق
أهل السنة، على الرغم مما كان بين الإمامين من فوارق - ليس هنا مجال الحديث عنها مفصلاً -
حيث كان علماء الأشعرية يتقيدون بالنقل ويؤيدونه بالعقل، بينما كان الماتريدي يعتمد على
العقل بإرشاد من الشرع خصوصاً في المسائل العقلية المتعلقة بالعقيدة^٢، حتى وسم المذهب
بميسمه وأصبح منسوباً إليه، على الرغم من أنه لم يكن مبتدعه، بل كان فيه سائراً على منهج
شيخه شيوخه الإمام أبي حنيفة، غير أنه تحول به من ميدان الفقه إلى ميدان العقيدة والفكر.

ثقافته

الباحث في كتب الطبقات والمؤرخين لا يجد وصفاً مباشراً يبين تدرج الماتريدي علمياً،
إنما هي لمحات ومقتطفات وإشارات يمكن أن تلقى ضوءاً على هذا الجانب من حياته في هيئة
مجملة إذا ما ضم بعضها إلى بعض. فجميع المصادر التي بين أيدينا تقرر إجمالاً أن الماتريدي
تفقه في العلم على أئمة العلماء في عصره وفي موطنه، كما تقرر أن هؤلاء العلماء يمثلون حلقة في
سلسلة متصلة تنتهي إلى الإمام أبي حنيفة^٣. وأول من نتعرف عليهم من هؤلاء الأئمة تفصيلاً
لا يتجاوز أربعة، هم: أبو نصر أحمد بن العباس بن الحسين العياضي، وأبو بكر أحمد بن

١ انظر: ظهر الإسلام لأحمد أمين، ٢٦١/١.

٢ تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٩٣-٢٩٤.

٣ الفوائد البهية للكنوي، ١٣٠-١٣١.

إسحاق بن صالح الجوزجاني صاحب الفرق والتمييز، ونصير بن يحيى البلخي، ومحمد بن مقاتل الرازي قاضي القضاة.

أما أبو نصر العياضي، فقد كان شيخاً للماتريدي، وكان في الوقت ذاته رفيقاً له حيث تتلمذا معاً لأبي بكر أحمد الجوزجاني، الذي تفقه على أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني المتوفي بعد المائتين. وهذا الأخير قد تفقه على القاضي أبي يوسف (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ/٨٠٥م)، اللذين تفقها على الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م). وأما الإمام نصير بن يحيى البلخي فقد تفقه هو أيضاً على الإمام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني. وتفقه البلخي كذلك هو والإمام محمد بن مقاتل الرازي على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي (ت ١٩٩هـ/٨١٥م)، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي (ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م). ثم إن الإمام محمد بن مقاتل الرازي أخذ كذلك عن محمد بن الحسن الشيباني^١.

أما الميادين التي برز فيها شيوخه فقد كانت تجمع بين الأصول والفروع، والتوحيد والفرق، والتمييز والتحديث^٢. وأما ميادين بحث الماتريدي فقد دارت حول تفسير القرآن الكريم، وأصول الفقه، وأصول العقيدة، ومنازع ذوي البدع على اختلاف مشاربهم. وهكذا يتضح أن أبا منصور الماتريدي درس العلوم العقلية كما درس العلوم النقلية درساً عميقاً متقناً، ووقف على أصول هذه وتلك، وتعرف على دقائقها، حتى صار إماماً مبرزاً في الفقه والتفسير والكلام. ويتضح أنه استقبل ما قدم له من آثار شيوخه استقبال العالم الواعي، فرواها لتلاميذه واستوعبها ثم نماها، فأخذت على يديه شكلاً آخر ليؤدى دوره في بيان عقيدة أهل السنة، وينبه إلى ما لا يصح الاعتقاد به من غير دليل ولا برهان^٣.

بيد أن هذا التراث حوّل على يدي الماتريدي من عقيدة إلى علم، حيث حقق تلك الأصول بالأدلة القاطعة، وناقش الفروع بالحجج الدامغة، وأتقن الحوار والمناظرة بالبراهين اليقينية اللامعة^٤، ليصبح بحق رأس مدرسة أبي حنيفة، ورئيس أهل السنة والجماعة في

١ إشارات المرام للبياضي، ٢٣؛ وإتحاف السادة للزيدي، ١٥/٢.

٢ انظر: الجواهر المضية لأبي الوفاء القرشي، ١٥٨؛ وإتحاف السادة للزيدي، ٥/٢؛ والفوائد البهية للكنوي، ١٢٥/٢.

٣ وعلى منوال هذا البيان أصدر الطحاوي (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م)، إمام أهل السنة في مصر، رسالة صغيرة بعنوان بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (حلب ١٣٤٤هـ)، كما أصدر الإمام أبو الحسن الأشعري كتاب الإبانة عن أصول الديانة (القاهرة ١٩٧٧م). انظر: مقدمة كتاب التوحيد لمحققه فتح الله خليف، م ٥.

٤ انظر ما قاله محمود الكفوي في كئائب أعلام الأخيار، ورقة ١٢٩ ظ.

بلاد ما وراء النهر^١. بل لقد تجاوز بمحاوراته ومناظراته موطنه، فكانت له رحلات إلى البصرة - حيث الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم - للمناظرة في العقائد بلغت نحو اثنتين وعشرين مرة^٢، مما كان سبباً في ذبوع المذهب ونسبته إليه، بل وفي إطلاق وصف «الماتريديّة» على المتكلمين الذين يذهبون مذهب أبي حنيفة في تلك البلاد، واقتصر في النسبة إلى أبي حنيفة أصل المذهب، على من يتبعونه في الآراء الفقهية فحسب.

ولقد تخرج على يدي الإمام أبي منصور من أئمة العلماء الكثيرون، وكان من أبرزهم أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الشهير بالحكيم السمرقندي (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)، والإمام أبو الحسن علي بن سعيد الرُّسْتُعْفِيّ (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م)، والإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم البخاري السمرقندي (ت ٣٧٣هـ / ٩٨٤م)، والإمام أبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي (ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م)^٣.

وكما صنع الماتريدي مع شيخ شيوخه الإمام أبي حنيفة، صنع تلاميذ الماتريدي مع آثاره؛ فقد نهض منهم جيل بعد جيل - في حلقة متصلة - بتوضيح مذهب إمامهم، والعمل على تيسيره وتنقيحه وتنميته، مضيفين إليه على طريقه ما قد يكون قصر فيه، من غير تخرج في أن يختلفوا معه فيما يرونه يستحق المخالفة أو يستوجبها، مقررين بذلك مبدأ صدق العلماء، وحریتهم الحقّة، وإخلاصهم، ويقينهم بأن الجهد البشري يحتل الخطأ كما يحتل الصواب؛ فكانوا بذلك قوياً دافعة تدعم المذهب وتحفظه وتذيعه في بلاد ما وراء النهر، وتحقق له الحياة وطول العمر.

يقرر ذلك ما نراه في صنيع الإمام أبي اليسر محمد بن عبد الكريم البزدوي (ت ٤٩٣هـ / ١١١٠م) الذي تلقى فكر الماتريدي عن أبيه، عن جده، عن الماتريدي، وقدم كتابه أصول الدين في تبسيط المذهب، حيث ذكر في مقدمته أنه لولا أن في كتاب التوحيد الذي صنعه الشيخ أبو منصور الماتريدي قليل انغلاق وتطويل، وفي تطويله نوع تعسير، لولا ذلك لاكتفى به، ولم يقدم كتابه هذا^٤. وما نراه في صنيع الإمام أبي المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ / ١١١٤م)، الذي كان في مقدمة من اهتموا بمذهب الماتريدي ونهضوا لنصرته وإذاعته، وفي سبيله إلى ذلك لم يقتصر على تقديم شرح لتأويلات الماتريدي، تلقفه منه تلميذه

١ تحاف السادة للزيدي، ٥/٢.

٢ تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٨٨.

٣ كتاب أعلام الأخيار للكفوي، ورقة ١٣٠و؛ والفوائد البهية للكنوي، ١٩٥، ٢٢٠.

٤ انظر: أصول الدين للبزدوي، ٣.

الإمام علاء الدين أبو بكر بن محمد بن أحمد السمرقندي، ونسبه إلى نفسه، بل أَلَّف كتابه المشهور بـتبصرة الأدلة. وما نراه في صنيع أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م)، حين قدم كتابه العقائد النسفية، ثم ما نراه في صنيع نورالدين أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م)، حيث قدم كتابين له، وهما: الكفاية في الهداية^١ والبداية في أصول الدين^٢ مناظرًا فيهما بين آراء الفلاسفة والمتكلمين.

بل لقد بلغ تأثير الإمام أبي الليث السمرقندي بأستاذه الإمام الماتريدي درجة جعلت أمر كتابه شرح الفقه الأبسط يشتبه على المؤرخين فنسبوه إلى الماتريدي، على الرغم من وجود عدة نسخ مخطوطة لهذا الكتاب صرح فيها بنسبته إلى أبي الليث، ويرجع الخطأ في نسبته للماتريدي إلى وجود بعض أقواله في هذا الشرح مرارًا؛ كما أنه يظهر من عبارات الشرح انتفاء صاحبه إلى المدرسة الماتريدية.

مؤلفاته

على الرغم من أن الكثير من آثار الإمام الماتريدي وصل إلى علمنا عن طريق المؤرخين وكتب الطبقات لم نستطع الوقوف عليها مطبوعة ولا مخطوطة. ومن النظر فيما تيسر لنا الاطلاع عليه من آثاره، وما ذكره المؤرخون، وما كشفه المنقبون في التراث نستطيع أن نصنّف تلك الآثار في ثلاث مجموعات علمية متميزة، على حسب ما تناوله فيها من الأبحاث والدراسات، وهي العقيدة وآراء الفرق المختلفة، وأصول الفقه، وتأويل القرآن الكريم وما يتصل به.

(أ) العقيدة وآراء الفرق المختلفة (علم الكلام)

١ - كتاب التوحيد

ذكره أبو المعين النسفي وأبو اليسر البزدوي بهذا الاسم^٣، وورد في كشف الظنون وهدية

١ القاهرة ١٩٨٦م.

٢ الاسكندرية ١٩٦٩م، وأنقرة ١٩٧٩م.

٣ لقد اعتمدنا على ما ذكره أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة من مؤلفات أبي منصور الماتريدي، لأن النسفي يعتبر حلقة أولى في مستوى المذهب الماتريدي وأقربها زمنًا، كما أنه لا يستطيع أحد أن يشك في أن النسفي كانت لديه معلومات صحيحة عن تلك المؤلفات. بل ومن الاحتمالات القوية أن النسفي قد رأى تلك المؤلفات المذكورة في كتابه ودرسها حتى أصبح بكتابه المسمى تبصرة الأدلة منبعًا رئيسيًا لفهم الاتجاه الماتريدي في علم الكلام إلى يومنا هذا. انظر العبارة التي ذكر فيها النسفي تلك المؤلفات للماتريدي: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١، وانظر كذلك: أصول الدين للبزدوي، ٣.

العارفين باسم كتاب التوحيد وإثبات الصفات^١، كما ذكره جميع من ترجم للماتريدي قديماً وحديثاً. وقد قام بتحقيقه فتح الله خليف بالاعتماد على نسخة وحيدة وجدت بمكتبة جامعة كمبردج، تحت رقم ٣٦٥١ (Ms. Add. 3651)^٢، وقدم له، وطبع بدار المشرق - بيروت ١٩٧٠م. كما طبع عن طريق الأوفسيت منه في المكتبة الإسلامية بإستانبول، ١٩٧٩م؛ وصور في مصر ونشرته دار الجامعات المصرية.

فهذا الكتاب يعتبر بلا شك من أهم مؤلفات الماتريدي، بخاصة فيما يتعلق بنظرياته الكلامية وآرائه في المسائل الاعتقادية، حتى أصبح المرجع الأساسي في المعرفة بالعقيدة الماتريدية. فهو أيضاً من أقدم المراجع الكلامية التي يشتمل على آراء مختلف الفرق الإسلامية (بخاصة المعتزلة منها) وعلى وجهة نظر الأديان السماوية وبعض النظريات الفلسفية. غير أن الكتاب - كما أشار إليه البزدوي - يصعب تناوله، لِمَا فيه من العبارات الكثيرة الغامضة والمعاني المبهمة والألفاظ المغلقة^٣؛ فلعلها هي أهم الأسباب في عدم انتشار النسخ الخطية للكتاب وعدم وجود الشروح له، رغم الإشارات إليه والإحالات والإرجاعات الواردة له من قِبَل تلاميذه في مؤلفاتهم. وكذلك، فإن المذهب الماتريدي قد يعتبر مدرسة نصف فلسفية تعطى للعقل والفكر الحر الأهمية البالغة.

٢ - كتاب المقالات

ذكره أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة وحاجي خليفة في كشف الظنون بهذا الاسم^٤، وأشار إليه كارل بروكلمان بأنه مخطوط في مكتبة كوبريلي (إستانبول)، تحت رقم ٨٥٦ [Köprülü Ktp., nr. 856]، كما ذهب إلى أنه عنوان آخر لـ «كتاب التوحيد»^٥؛ وقد ذكر مترجما بروكلمان في الهامش أنهما كتابان مستقلان كما ورد في قطلوبغا والزبيدي^٦؛ وذكره أيوب علي في رسالته كتاباً مستقلاً^٧، كما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة باسم كتاب المقالات في

١ كشف الظنون لحاجي خليفة، ١٤٠٦/٢؛ وهدية العارفين للبغدادي، ٣٦/٢.

٢ انظر: C. Brockelmann, *GAL*, I, 195; *Suppl.*, I, 346; F. Sezgin, *GAS*, I, 605.

٣ يقول أبو اليسر البزدوي في ذلك: «إلا أن في كتاب التوحيد الذي صنفه الشيخ أبو منصور قليل انغلاق وتحويل وفي ترتيبه نوع تعسير، لولا ذلك لاكتفينا به». أصول الدين للبزدوي، ٣.

٤ تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة، ١٧٨٢/٢.

٥ C. Brockelmann, *GAL*, I, 195.

٦ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ٤٢/٤.

٧ انظر: عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٥٩.

الكلام^١. وعبارة أبي المعين النسفي في تبصرة الأدلة واضحة في أن لأبي منصور كتاباً آخر باسم كتاب المقالات غير كتاب التوحيد. غير أن الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي علق على ما ذكره بروكلمان بالآتي: «يقول بروكلمان (GAL, I, 195; Suppl., I, 346) إن هناك نسخة منه في مكتبة كوبريلي تحت رقم ٨٥٦، وهو خطأ؛ فالكتاب - ومنه نسخة أخرى في مكتبة الفاتح تحت رقم ٢٨٩٤ - لا صلة له بالماتريدي. وهو لمؤلف لم أوفق لمعرفة، قصد فيه إلى بيان مذهب أبي الحسن الأشعري من كتبه»^٢. ولدى الاطلاع على هذه النسخة بالمكتبة رأينا أنها نسخة خطية لكتاب مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)^٣.

فالواضح أن من مؤلفات الماتريدي كتاب المقالات؛ وإذا كنا نحن حتى اليوم لم نستطع الحصول على نسخة خطية منه في المكتبات، فهذا لا يدل على عدم صحة نسبته إلى الماتريدي. ومن المحتمل أن الماتريدي في هذا الكتاب يرد على جملة مقالات المخالفين لأهل السنة، إذ ظهر في عصره مجموعة من الكتب تحمل هذا العنوان (المقالات)؛ فقد ألف أبو القاسم الكعبي كتابه المقالات، وألف أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين.

٣ - كتاب الأصول أو أصول الدين

ذكره كارل بروكلمان باسم كتاب الأصول، ولم يذكر في وصفه سوى اسم المكتبة أو البلد الموجود فيها، كما ذكر أنه لمؤلف مجهول^٤؛ ولعل الكتاب الذي ورد ذكره في هدية العارفين باسم الدرر في أصول الدين هو هذا الكتاب الذي نحن بصدده. وذكره أبو زهرة باسم كتاب الأصول في أصول الدين^٥.

٤ - الرد على القرامطة

ذكر أبو المعين النسفي له كتابين في الرد على القرامطة، يرد في أحدهما على أصول مذاهبهم،

١ تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٩١.

٢ راجع: Muhammed b. Tâvîr at-Tancî, "Abû Mansûr al-Mâturîdî" Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi (AÜİFD), sy. I-II, s. 8.

٣ وقد حققه الأستاذ / دانيال جيماريه بهذا الاسم وطبع الكتاب في دار المشرق، بيروت ١٩٨٧م، وأشار المحقق في مقدمة الكتاب إلى هذه النسخة الخطية. انظر: مجرد مقالات، ٢.

٤ راجع: C. Brockelmann, GAL, I, 195; Suppl., I, 346. قد ورد ذكر الأماكن التي وُجد فيها كالأتي: Berlin Oct. 3566, Gotha 100, Cambr. Palmer 124, Bodl. I, 351, I; Kairo II, 43.

٥ انظر: هدية العارفين للبغدادي، ٣٦/٢؛ وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٩١.

وفي الآخر يرد على فروعها، ولم يذكر اسم الكتائين^١. وذكره من المعاصرين أيوب علي بدون وصف له، وكذلك ذكره محمد أبو زهرة وعلى عبد الفتاح المغربي، ولم يذكره كارل بروكلمان ولا فؤاد سزكين؛ وذكره فتح الله خليف أثناء الحديث عن مؤلفاته باسم الرد على أصول القرامطة^٢.

٥- رد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي

هذا الكتاب ذكره أبو المعين النسفي هكذا، ولم نقف على وصف له، ولا على ترجمة الباهلي. وذكره من المعاصرين أيوب علي بدون وصف، وكذلك ذكره فتح الله خليف وعلى عبد الفتاح المغربي^٣، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين.

٦- رد أوائل الأدلة للكعبي

ذكره النسفي بهذا الاسم، كما ورد الكتاب أيضاً بالاسم نفسه عند كارل بروكلمان وعند الباحثين المعاصرين؛ غير أن أبا الوفاء القرشي قد أشار إلى الكتاب باسم كتاب رد أهل الأدلة^٤. وأما عن كتاب أوائل الأدلة فالكعبي مؤلفه، وهو: أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م)، رئيس فرقة الكعبية من معتزلة بغداد^٥.

٧- رد تهذيب الجدل للكعبي

ذكره النسفي بهذا الاسم، وكذلك الباحثون المعاصرون^٦، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين. وقد ورد ذكره في هدية العارفين باسم الرد على تهذيب الكعبي في الجدل^٧.

١ تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١.

٢ انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ٢٩١؛ وعقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٨٦؛ ومقدمة خليف في كتاب التوحيد للماتريدي، ٦٣؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ص ٢٣.

٣ راجع: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ ومقدمة خليف في كتاب التوحيد للماتريدي، ٦٣؛ وعقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٨٦؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ٢٣.

٤ انظر: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة، ١١٤/١؛ والجواهر المضية لأبي الوفاء القرشي، ٢٥١/٤؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ٢٣؛ و C. Brockelmann, GAL, I, 195.

٥ انظر: تاريخ بغداد للخليفة البغدادي، ٣٨٤/٩؛ ولسان الميزان لابن حجر، ٢٥٥/٣؛ ووفيات الأعيان لابن خلكان، ٢٤٨/٢-٢٤٩.

٦ انظر: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ ومقدمة خليف في كتاب التوحيد للماتريدي، ٦٣؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ص ٢٣.

٧ هدية العارفين للبغدادي، ٣٦/٢.

٨ - رد وعيد الفساق للكعبي

ورد الكتاب في كثير من كتب الطبقات بهذا الاسم؛ وفي تبصرة الأدلة ورد ذكره باسم رد كتاب الكعبي في وعيد الفساق^١، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين.

٩ - رد كتاب الإمامة لبعض الروافض

ذكره النسفي بهذا الاسم دون وصف له، كما ذكره كثير من الباحثين المعاصرين؛ وقد أشار إليه على عبد الفتاح المغربي باسم كتاب رد الإمامة لبعض الروافض^٢، وقد حاول الأستاذ أيوب علي التعرف على المقصود بالمشار إليه في الكتاب، فرجح أنه يرد فيه على أبي الحسين أحمد بن يحيى الراؤتي^٣.

١٠ - بيان وهم المعتزلة

ذكره أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة، والبغدادى في هدية العارفين بهذا الاسم، كما ورد اسمه أيضاً هكذا عند بروكلمان؛ غير أنه ذُكر في الجواهر المضية باسم كتاب بيان أوهام المعتزلة^٤.

(ب) أصول الفقه. فقد ذكر جميع من ترجموا له كتابين له في أصول الفقه، هما:

١ - كتاب الجدل

٢ - مآخذ الشرائع^٥

ولم يقع لنا شيء من هذين المؤلفين، ولا وصف لهما. بيد أن بعض كتب الأصول والفقه الحنفية قد نقلت عن الماتريدي في ذلك الميدان إما بطريق الاستشهاد، وإما بطريق البسط والتفصيل. غير أن ذلك كان ينسب إلى شرح تأويلات الماتريدي في الغالب، كما فعل عبد العزيز البخاري في كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي أثناء الحديث عن خبر الواحد إذا خالف عموم الكتاب أو ظاهره، وبيان الرأي في صحة تخصيص هذا العموم

١ انظر: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ ومقدمة خليف في كتاب التوحيد للماتريدي، ٦م؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ٢٣.

٢ تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ص ٢٣.

٣ عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٨٧.

٤ انظر: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ والجواهر المضية لأبي الوفاء القرشي، ٢٥١/٤؛ وهدية العارفين للبغدادى، ٣٦/٢؛ و C. Brockelmann, GAL, I, 195.

٥ انظر: تبصرة الأدلة للنسفي، ٣٥٩/١؛ ومفتاح السعادة لطاش كوبري زاده، ٢١/٢، ٢٢؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة، ١٤٠٨/٢، ١٥٧٣.

به^١. وجاء في كتاب بدائع الصنائع في أثناء استنباط أوقات الصلوات الخمس من قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ [الروم، ٣٠/١٧-١٨]؛ قال الشيخ أبو منصور الماتريدي السمرقندي: إنهم فهموا من هذه الآية فرضية الصلوات الخمس، ولو كانت أفهامهم مثل أفهام أهل زماننا لما فهموا منها سوى التسييح المذكور^٢. فقد تناول الشوكاني بعض آراء الماتريدي في أصول الفقه؛ ففي أثناء عرضه آراء أهل العلم في صيغة افعل وما في معناها، هل هي حقيقة في الوجوب، أو فيه مع غيره، أو في غيره قال: «وقيل: إنها - يعني صيغة الفعل - موضوعة للقدر المشترك بين الوجوب والندب - وهو الطلب، أي ترجيح الفعل على الترك. ونسبه شارح التحرير إلى أبي منصور الماتريدي ومشايخ سمرقند»^٣.

وقد ذكر الفقيه الماتريدي أبو الثناء اللامشي هذا الكتاب باسم مأخذ الشرائع، وكذا ذكره علاء الدين السمرقندي^٤. رغم أننا لم نستطع الحصول على نسخة من الكتاب، فقد رجّحنا اسم مأخذ الشرائع بالقياس إلى اسم أصول الفقه الوارد في كثير من مصادر التراث. وقد ذكر كارل بروكلمان هذين الكتابين نقلاً عن كشف الظنون لحاجي خليفة باسم مأخذ الشرائع، ولم يذكر شيئاً من صفاتها ولا أشار إلى مضمونها؛ وكذلك فعل الشيخ أبو زهرة. وأما أيوب علي وفتح الله خليف وعلي عبد الفتاح المغربي فقد نعتوا الكتابين بأنهما في أصول الفقه؛ وكذلك صنع أحمد عصام الكاتب^٥.

١ انظر: كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري، ٩/٣-١١؛ وقارن: تأويلات القرآن، نسخة حاجي سليم آغا، رقم ٤٠، ورقة ١٨٤؛ وشرح تأويلات الماتريدي للسمرقندي، ورقة ٢٤٣ ظ.
٢ انظر: بدائع الصنائع لأبي بكر الكاساني، ١/٨٩-٩٠؛ وتأويلات القرآن، نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ٥٦١.

٣ انظر: إرشاد الفحول للشوكاني، ٩٤. غير أن الدكتور شكرى أوزن (Dr. Şükri Özen)، الباحث بمركز البحوث الإسلامية لوقف ديانة تركيا - TDV, İSAM، قد بدأ بدراسة تتعلق حول آراء أبي منصور الماتريدي في أصول الفقه، وذلك بالاعتماد على النقل الوارد من الكتابين المذكورين في المؤلفات العديدة التي تشير إلى تلك الآراء؛ فنأمل أن تكون تلك الدراسة قد تكمل وتطبع حتى تكون هي التي توضح الموضوع على أوسع نطاق.

٤ كتاب في أصول الفقه لأبي الثناء اللامشي، ١٨٩؛ وميزان الأصول في نتائج العقول للسمرقندي، ٣، ٧٠، ٩٧، ٦٦٠، ٦٩٩، ٧٤٦.

٥ انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة، ١٤٠٨/٢، ١٥٧٣؛ و C. Brockelmann, GAL, I, 195؛ وعقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٦٠؛ ومقدمة كتاب التوحيد للماتريدي، م٦؛ وعقيدة التوحيد لأحمد عصام الكاتب ١٠١؛ وإمام أهل السنة والجماعة للمغربي، ٢٧.

(ج) التفسير وعلوم القرآن

١- رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن

وهي رسالة مخطوطة تتألف من ورقة واحدة وجهًا وظهراً. وقد ذكرت نسخها المخطوطة في الفهرس الشامل، كما ذكرها فؤاد سزكين أيضاً^١. منها نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٤٠ مجموع طلعت بالقاهرة، ونسخة ثانية بمكتبة كوبريلي، رقم ٧٠٥ بإستانبول (Köprülü Ktp., Mehmed Asım Bey, nr. III, 705)، والثالثة نسخة قسم شهيد على باشا، رقم ٢٧٩٠ / ٦ (Şehid Ali Paşa, nr. 2790/6) بمكتبة سليمانية، والرابعة نسخة حاجي محمود، رقم ٨٩٢ / ٢ (H. Mahmud, nr. 892/2) بمكتبة سليمانية، والخامسة نسخة مكتبة تبريز، رقم ١٤٦ / ٤ (Y. Tebriz, 146/4). هذا، وتبدأ الرسالة بالعبارة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم هذه رسالة الإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى فيما لا يجوز الوقف عليه وفيما لو تعمد الوقف عليه كفر، ولو وقف ساهياً فسدت صلواته وذلك في القرآن اثنان وخمسون موضعاً^٢.

٢- تأويلات القرآن

وقد ذكر حاجي خليفة ذلك الكتاب بعنوان تأويلات أهل السنة^٣، وحمل ذلك العنوان نسخة قوله بدار الكتب المصرية [تفسير ٦، قوله]، بينما كان عنوان نسخة كوبريلي: «تأويلات أبي منصور الماتريدي في التفسير». وجاء في صدر نسخة مكتبة عاطف أفندي: «الجلد الأول من تفسير الشيخ الإمام العلامة علم الهدى، أبي منصور الماتريدي رحمه الله»، وجاء في خاتمتها: «قد تم كتابة هذا الكتاب المستطاب، والسفر المعبر العجائب، المسمى بتأويلات القرآن المجيد». أما السمرقندي شارح الكتاب، فقد قال في صدر كتابه: «كتاب التأويلات المنسوبات إلى الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور...»، بينما ذكره أصحاب الطبقات باسم تأويلات القرآن. وهذا العنوان تحمله بعض النسخ الأخرى الموجودة في مكاتب تركيا، والهند، وألمانيا، والمدينة المنورة، ودمشق، والمتحف البريطاني، وطاشكنت^٤.

١ الفهرس الشامل للتراث المخطوط، القرآن وعلومه، (٢) التجويد، ١/١٢، هامش رقم ٣؛ وانظر حول تلك النسخ أيضاً: F. Sezgin, GAS, I, 606.

٢ نسخة حاجي محمود، رقم ٨٩٢ / ٢ (H. Mahmud, nr. 892/2) بمكتبة سليمانية (إستانبول)، ١٧٩ و.

٣ كشف الظنون لحاجي خليفة، ١/٣٣٥.

٤ عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأيوب علي، ٢٦٠-٢٧٢.